

القرآن والسنة

عقيدة سلف الأمة


بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن والسنة

عقيدة سلف الأمة

تقديم وتعليق

فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية

الأستاذ الدكتور العلامة

محمد خليل هراس

رحمه الله تعالى

إعداد

عبد الكريم بن عبد المجيد الدرويش

مكتبة الرشد

الرياض

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

مكتبة الرشد للنشر والتوزيع



* المملكة العربية السعودية - الرياض - طريق الحجاز
ص ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٨٣٧١٢
فاكس ٤٥٧٣٣٨١

* فرع مكة المكرمة: - هاتف ٥٥٨٥٤٠١ - ٥٥٨٣٥٠٦
* فرع المدينة المنورة: - شارع أبي ذر الغفاري - هاتف ٨٣٤٠٦٠٠
* فرع القصيم بريدة طريق المدينة - هاتف ٣٢٤٢٢١٤
* فرع أبها: - شارع الملك فيصل هاتف ٢٢٩٦٠٠٩
* فرع الدمام: - شارع ابن خلدون - هاتف ٨٢٨٢١٧٥

مقدمة الشيخ / محمد صفوت نور الدين

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ خير خلقه محمد وآله وصحبه، وبعد.

فهذه رسالة لطيفة هي محاضرتان ألقاهما فضيلة الدكتور / محمد خليل هراس .. رحمه الله. وهو صاحب لسان في الحق مبين فصيح، يحدث الناس عن أدق مسائل العقيدة فيفهم جميع الحاضرين، وتلك موهبة وهبه الله تعالىٰ إياها، فكان إذا جلس يناقش ويحاور في أمر الاعتقاد يظهر علمًا جمًا غزيرًا، وفهمًا مستقيمًا، وتلك المحاضرة في تبسيط أمر التوحيد جمعها الأخ / عبد الكريم، وأبوه الشيخ / عبد المجيد محمد صالح، هو وأبوه يحملان مهمة الدعوة بفرع حلوان.

ومعلوم أن تحويل المحاضرة المسموعة إلىٰ نص مكتوب من الأمور الصعبة، لكنه - جزاه الله خيرًا - تحمل ذلك العناء الشديد في إفراغ المحاضرتين كاملتين إفراغًا دقيقًا.

والمحاضر عندما يخاطب من أمامه - من الجالسين - يتكلم بكلام، ويُعبِّر بوجهه - بل وبيده - عن بعض المعاني التي لا تترجم عنها الكلمات. ويكرر بعض العبارات؛ فتكون العبارة المنقولة يظهر فيها من أسلوب المحاضر ما يختلف كثيراً عن أسلوب الكتابة المعروف والمعتاد. لذا فإن القارئ سيجد أسلوب المحاضرة في الكتاب شديد الوضوح، فعليه أن يتتبع المعاني ليجمع المقصود.

وموضوع المحاضرتين - جد هام - لا ينبغي لمسلم أن يجهله أو يترخص في التغاضي عنه، فهو يمثل معركة طويلة بين أهل السنة وفرق الضلال منذ القدم، ولا تزال هذه المعركة مشتعلة إلىٰ اليوم. لذا فإنني أسعد بتقديم هاتين المحاضرتين اللتين مر عليهما عقود طويلة لأبنائنا اليوم. آمل أن يقرأهما إخواننا مرات ومرات، وأن يقفوا عند كلماتهما وقوفًا متأنيًا يستقون المعاني ويتبينون الحق. والله الهادي إلىٰ الصواب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وكتبه/ محمد صفوت نور الدين

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية

* * *

مقدمة المُعد

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد المعبود الصمد، والصلاة والسلام علىٰ عبده ورسوله محمد، وآله وصحبه، وبعد.

أحمد الله أن وفقني في إعداد هذه الرسالة، وهي آخر محاضرتين ألقاهما فضيلة الأستاذ الدكتور العلامة / محمد خليل هراس - رحمه الله - بالمركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة - قُبيل وفاته بأيام - تحدث فيهما فضيلته قرابة ثلاث ساعات .. بأسلوبه المتميز وعلمه الغزير .. فأوضح بجلاء منهج وعقيدة جماعة أنصار السنة المحمدية التي هي عقيدة السلف الصالح .. رضوان الله عليهم .. وهي ذاتها عقيدة القرآن والسنة. وهاتان المحاضرتان في موضوع التوحيد - علىٰ بساطة أسلوبهما - تعتبران مدخلاً طيباً لدراسة العقيدة الصحيحة، نقدمهما لإخواننا من الدعاة، فالتوحيد هو أساس الدعوة التي دعا إليها الداعي الأول محمد بن عبد الله - عليه الصلاة والسلام - فلقد مكث في مكة - في بدء الدعوة - ثلاثة عشر عاماً لم يدع خلالها إلا للتوحيد.

وأشكر لأبي فضيلة الشيخ / عبد المجيد محمد صالح .. جهده الدؤوب من أجل تعليمي، وتوجيهي، وإرشادي - لا لكي تخرج هذه

الرسالة بالصورة التي يستفيد بها كل طالب علم وحسب بل – لكي تستقيم حياتي كلها علىٰ كتاب الله، وما صح عن رسول الله ﷺ. فاللَّهم اجزه عني خير الجزاء.

وكذلك أتوجه بالشكر لصاحب الفضيلة الشيخ/ محمد صفوت نور الدين .. الذي تفضل مشكوراً بالتقديم لها والتعليق عليها، وقد كان لتوجيهات فضيلته كبير الأثر في أن تخرج هذه الرسالة بهذه الصورة. فاللهم اجزه عنا خير الجزاء.

وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يرحم أستاذنا الدكتور العلامة/ محمد خليل هراس .. وجميع موتىٰ المسلمين الذين شهدوا له بالوحدانية، ولنبيه بالرسالة، وماتوا علىٰ ذلك، وأن يتقبلنا جميعًا في مستقر رحمته .. وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

كتبه/ عبد الكريم عبد المجيد محمد صالح الدرويش

حلوان في يوم الجمعة الخامس من المحرم ١٤١٩هـ

الموافق الأول من شهر مايو ١٩٩٨م

* * *

ترجـمة المحاضـــر (*)

* مولده : ولد عام ١٩١٥م في بلدة الشين - كفر الشيخ .
* بدأ تعليمه في المدارس الأزهرية عام ١٩٢٦م .
* تخرج من كلية أصول الدين .. جامعة الأزهر عام ١٩٤٠م .
* حصل علىٰ درجة الدكتوراة عام ١٩٤٥م، وكان موضوع الرسالة : (ابن تيمية السلفي ورده علىٰ مذاهب المتكلمين) .
* شغل وظيفة أستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر .
* شغل وظيفة رئيس قسم العقيدة بالدراسات العليا بجامعة أم القرىٰ (بمكة المكرمة) وقد تمت إعارته للمملكة العربية السعودية بطلب من جلالة الملك فيصل رحمه الله .
* توفي في سبتمبر ١٩٧٥م . بعد حياة علمية حافلة بالعطاء، التقىٰ فيها بعلماء أجلاء من أمثال : فضيلة الشيخ / محمد حامد الفقي مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية . كما كان من بين عارفيه

(*) نقلاً عن مجلة التوحيد، السنة الخامسة والعشرون، العدد الأول صفحة ٥٧، بقلم الشيخ فتحي أمين عثمان وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة، بشيء من الإيجاز .

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ / محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر، وكان يقدره حق قدره ويعرف له مكانته العلمية شيوخ كبار من أمثال: فضيلة الشيخ / عبد الرزاق عفيفي، وسماحة الشيخ / عبد العزيز بن باز، كما كان رفيقًا لفضيلة الشيخ / عبد الرحمن الوكيل، ونائبًا له، عندما كان رئيسًا لجماعة أنصار السنة المحمدية. وكان من إخوانه الشيخ / أبو الوفا درويش والشيخ / محمد علي عبد الرحيم، الذي كان يثني عليه كثيراً. وقد أبدىٰ نشاطًا ملحوظًا في العام الذي توفي فيه، حيث ألقىٰ عدة محاضرات في طنطا، والمحلة الكبرىٰ، والمركز العام في القاهرة[١].

* كان – رحمه الله – علىٰ قدر كبير من التميز في دراسة العقيدة الصحيحة، وملمًا إلمامًا محيطًا بفكر الفرق المختلفة، ولديه القدرة علىٰ أن يتكلم في موضوعات تحسبها لأول وهلة من أعقد قضايا الاعتقاد، ولكن الشيخ – رحمه الله – كان يملك القدرة علىٰ أن يجلي غامض الأمور.

* ولما كون – رحمه الله – جماعة أنصار السنة المحمدية بطنطا، وكان يلقي بمركزها محاضراته التي يحارب فيها البدعة، ويدعو فيها إلىٰ السنة بالحسنىٰ، وبأدلة من القرآن والسنة كان لها أكبر الأثر في رد

---

(١) من هذه المحاضرات هاتين المحاضرتين موضوع هذه الرسالة.

كثير من الناس إلىٰ الحق والصواب، وكان من أثرها - أيضًا - أن غضب أعداء الحق فتحركوا يشكونه إلىٰ المسئولين وذلك لتشويه مسلكه، وكانت حجتهم قائمة علىٰ أنه يكره الأولياء! غير أن هذا الأمر قد وقع في يد رجل ذكي - سرعان ما - أدرك الحق، وعرف الباعث علىٰ الشكوىٰ. فنصحهم بالكف عن ذلك لأن الشيخ يدعو إلىٰ الحق.

* وكان منهجه - رحمه الله - يمتاز بالتركيز الشديد في القضايا التي يتعرض للحديث عنها، ومن أمثلة ذلك: شرحه للعقيدة الواسطية، ومحاضراته في الفلسفة الشرقية والإغريقية.
* وكان يتولىٰ باب الإفتاء في مجلة الهدي النبوي، وفي تلك الفترة كتب مجموعة من المقالات تحت عنوان: عقيدة القرآن والسنة، وكذلك تحت عنوان: ركن السنة، وهذا يؤكد لنا أنه - رحمه الله - كان غيوراً علىٰ السنة النبوية، غيرة قد تصل إلىٰ درجة الحدة في مواجهة من يردون الحديث الشريف الصحيح، فجزاه الله خير الجزاء، وصدق رسول الله ﷺ: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا بنزعه من قلوب الرجال، وإنما يقبض العلم بموت العلماء)[1].

وصلىٰ اللّهم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) رواه البخاري في العلم (١٠٠)، ومسلم في العلم (٢٦٧٣).

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

المحاضرة الأولى

توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الأولى
توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد عبد الله ورسوله، وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد ...

أشعر في هذه الليلة بالسعادة والغبطة، حين أجيء لأتحدث إلى هذا الشباب الذي يفيض إيمانًا وحماسة لدينه وعقيدته، وإني أشكر إخواني الذين شرفوني بزيارتي في منزلي بطنطا، ودعوني لإلقاء هذه المحاضرة، والواقع أن هذه الدار ليست غريبة عليّ، وإنما هي داري، وقد أقمت فيها الشهور والأعوام، التقيت فيها بأكثر الوجوه التي أراها هذه الليلة - بعد تلك الغيبة الطويلة - متهللة مستبشرة، تلمع بنور الإيمان والإخلاص، ونسأل الله - عز وجل - أن يجعلها جماعة خير، وأن نلتقي في هذه الدار دائمًا على الهدى، وأن نكون جندًا لهذه الدعوة التي قلّ أعوانها، وعزّ أنصارها، وهي دعوة غريبة على الناس في هذه الأيام، وعليكم أنتم وحدكم أن تحملوها إلى عقول لو عرضت

عليها لتفهمتها، وأن تحملوها إلىٰ قلوب غفل خالية من كل معنىٰ، ومن كل روح، لكنني أطمع في أن هذه القلوب – لو عرفت دعوة الحق – ربما انقلبت فصارت أشد تمسكًا بها منا نحن الآن، فكلنا يعرف عداوة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للإسلام، وكيف أنه حين سمع القرآن انقلبت هذه العداوة رغبة وميلاً إلىٰ الدخول في دين الله، وكيف أعلن دعوة الحق، فدوّت بها أرجاء مكة، وكيف أشار علىٰ النبي ﷺ أن يخرج المسلمون من دارهم التي استخْفوا فيها من ظلم قريش وعنتها واضطهادها، في صفين يتقدم هو أحدهما ويتقدم حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الآخر، وأن المشركين حين رأوا هذا المنظر العظيم علتهم كآبة، وعمهم حزن كامل لإسلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فواجبنا: أن نحمل هذه الدعوة، ونبلغها لكل أحد. فعسىٰ الله أن يهديه بها، وفي الحديث الصحيح: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[(١)].

ولا أنسىٰ أن أحيي أبناءنا الذين رأيتهم هذه الليلة لأول مرة – فلا شك – أن هذه الدعوة جذبت كثيراً من الشباب المتفتّح علىٰ الخير، والمحب للهدىٰ، فأُحيّيهم جميعًا، وأتمنىٰ لهم مزيداً من الهدىٰ، ومن الرغبة في إحقاق الحق، ونشره، والعمل لما فيه خير هذه الدعوة إن شاء الله.

---

(١) رواه البخاري في مواضع، منها: الجهاد (٣٠٠٩)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٦).

ونبدأ الحديث في موضوع المحاضرة: كلنا يعلم أن هذه الدار حملت لواء السلفية، منذ تأسست علىٰ يد مؤسسها الأول أستاذنا الشيخ/ محمد حامد الفقي – غفر الله له ورحمه – وظلت هذه الدار أمينة علىٰ هذه الدعوة، وظلت تُنافح وتدافع بكل ما أوتيت من قوة عن منهج سلف هذه الأمة وعقيدتها، وهو الأمر الذي تميزت به هذه الجماعة عن غيرها من الجماعات التي تنتسب إلىٰ الدين في هذه البلاد، فهناك جماعات كثيرة، قامت علىٰ أساس ديني – إن صح أن يقال ذلك – لكن كثير من هذه الجماعات إنما تقوم علىٰ عقائد بدعية، وإن كانت في العمليات الشكلية تتظاهر بالتمسك بالسنة، ولكن العقيدة – التي هي الأساس – بعيدة كل البعد عن منهج القرآن الكريم والسنة المطهرة، وعما كان عليه سلف هذه الأمة رضي الله عنهم.

فلنا أن نعتز بأننا رواد حق، وأن دعوتنا هي دعوة السماء، لم تخلط بما يشوبها من هوىٰ رديء، ولا من بدع دخيلة. بل إنها الدعوة الأولىٰ التي قام بها الداعي الأول – صلوات الله وسلامه عليه – لم تزغ بها السبل، ولم تزدريها الأهواء، ولم تنحرف لا يمينًا ولا يسارًا كما انحرف كثير من الناس، فلنا أن نعتز بهذا. وأن نحمد الله – عز وجل – علىٰ هذه النعمة التي اختصّنا بها، وبأن نقوم لله – سبحانه – بشكرها.

وشكر هذه النعمة لا يكون بأن نقول فقط: الحمد الله، ولكن بأن نحمل ما عندنا من حق وخير لكل الناس، وأن نعلمه وننشره وندعو إليه، فهذا هو الوفاء للدعوة، والدعوة أمانة في أعناقنا جميعًا، فيجب أن نحفظ هذه الأمانة التي استودعنا الله – عز وجل – إياها، وأن نخلص لها، وأن نكون جميعًا جندًا لهذه الدعوة المباركة الطيبة.

عقيدة السلف الصالح – رضي الله عنهم – هي عقيدة القرآن والسنة، فإن ما يميز السلف عن غيرهم في عقائدهم، أنهم لم يأخذوا فيها برأي فلان، ولا بمذهب فلان. ولم يستفتوا فيها غير القرآن، وغير ما صح عن رسول الله ﷺ، فحين نقول: مذهب السلف أو عقيدة السلف، فلا نعني أن السلف قد اخترعوا مذهبًا، أو ابتدعوا عقيدة، كما اخترع غيرهم، أو كما ابتدع غيرهم.

فإذا قلنا: عقيدة السلف أو مذهب السلف، فهذا يساوي تمامًا قولنا: عقيدة القرآن أو مذهب القرآن، لأن السلف لم يشذوا – قيد شعرة – عما جاء به القرآن الكريم، ولا عما وردت به السنة الصحيحة.

فعلام تقوم عقيدة السلف في أسماء الله وصفاته؟!. ولو أن هذا الكلام إذا قلناه يعتبر معادًا مكررًا؛ لأن هذه الدار منذ أكثر من ربع قرن وهي تردد هذه الأسس التي هي أسس دعوتها، والتي قام عليها بناؤها، لكن لا يخلو التكرار من فائدة أبدًا، ربما كان بيننا غريب،

يريد أن يعرف ما هي عقيدة هذه الجماعة؟ وما هي الأسس التي بنوا عليها دعوتهم، فلا بد أن نُعّرف الناس دائمًا، ولا نمل من التكرار، ولا من تعريف الناس بدعوتنا الحقة.

يقول بعض الناس: أنتم تبتدعون، لأن السلف ما تكلموا عن أقسام التوحيد، وما قسموا التوحيد إلىٰ: توحيد ربوبية، وتوحيد إلٰهية، وتوحيد أسماء وصفات، إنما أول من فعل ذلك هما الشيخان الجليلان ابن تيمية وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله تعالىٰ - وأنتم تسيرون علىٰ هذا المنهج، وهذا ليس منهج السلف.

ولكن هؤلاء غفلوا عن شيء بسيط وهو : أن القرآن بين أيدينا، لو استقرأت آيات القرآن، التي وردت في الشئون الإلٰهية، أو في معاني التوحيد، فلا يمكن أن تراها قد خرجت عن واحد من هذه الأقسام الثلاثة[١]، إذا استقصيت وأحصيت آيات القرآن الكريم التي وردت في

---

(١) تقسيم التوحيد ليس من عند العلماء، إنما القرآن الكريم وضح أن التوحيد منه ما كان عليه أهل الجاهلية فهو مركوز في الفطرة، وهو توحيد الربوبية. والقرآن يُدلل به على توحيد الإلٰهية (توحيد العبادة). ومنه التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وهو وإن تضمن توحيد الربوبية إلا أنه تضمن على سبيل الإقرار والاستدلال ثم التصحيح والإكمال. لكن التوحيد الذي دعت إليه الرسل ينقسم إلى قسمين: توحيد علم وإثبات وهو توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الربوبية، وتوحيد قصد وطلب، وهو توحيد =

الشئون الإلٰهية، فإما أن تكون في الإخبار عن توحيد الربوبية، وإما أن تكون دعوة إلىٰ توحيد الإلٰهية، وإما أن تكون إخبارًا عن أسماء الله وصفاته، ولا يمكن أن تجد فيها قسمًا رابعًا أبدا.

فالله تبارك وتعالىٰ، يحدثنا – عن نفسه كثيراً – في القرآن الكريم بأنه الرب: المنفرد بكل شئون الربوبية من خلق ورزق وملك وتدبير، وأن الأشياء كلها تقع بمشيئته، وأنه لا منازع له في سلطانه، وأن بيده وحده النفع والضر، والإعطاء والمنع، والإشقاء والإسعاد، والإعزاز والإذلال، والإحياء والإماتة، والخفض والرفع، وأنه رقيب علينا، وحفيظ يكلؤنا بالليل والنهار، وأنه بنا رؤوف رحيم، وأنه المدبر لجميع خلقه، وأنه ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة: ٥]، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ۝٣١﴾ [يونس: ٣١]، ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ۝٨٧ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا

= الإلٰهية (توحيد العبادة) وكلام الشيخ – رحمه الله تعالى – بعد ذلك مفصل لهذه المسائل.

يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤ – ٨٩]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

هذا كله داخل في معنىٰ الربوبية، لأن الرب معناه: الخالق، المالك، الرازق، الحافظ، المدبر، والله هو المنفرد في ذلك المعنىٰ لا رب غيره.

ويسوق القرآن العظيم آيات الربوبية كحجج لإثبات توحيد الإلٰهية، يعني: توحيد الربوبية في القرآن – لم يذكر من أجل الدعوة إلىٰ الإيمان به – فإن الناس كلهم يؤمنون بتوحيد الربوبية حتىٰ المشركين يقرون بهذا النوع من التوحيد لله تبارك وتعالىٰ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت: ٦١ – ٦٣].

فالمشركون مقرون وشاهدون بتوحيد الربوبية بمعنىٰ: أن الله وحده هو المنفرد بالخلق والرزق والنفع والضر، وأنه المالك لكل شيء. فالقرآن لا يذكر هذا النوع من التوحيد من أجل أن يدعو الناس إلىٰ الإيمان به.

- لأنه أمر مسلم به - فكل الفطر تقر وتشهد بهذا النوع من التوحيد، لكن القرآن يجعله دليلاً علىٰ توحيد الإلهية أي أنه: يجيء للعرب الذين يقرون بأن الله خالق كل شيء ثم يسوّون بين الله الخالق، وبين آلهتهم المخلوقة التي يعلمون هم أنها لم تخلق شيئًا، فيقول لهم: أين عقولكم؟ أين غابت عنكم العقول حين سويتم بين الخالق الذي انفرد وحده بخلق كل شيء، وبين هذه الآلهة المخلوقة التي لم تخلق نفسها - فضلاً علىٰ أن تملك أن تخلق غيرها - فيعيبهم علىٰ هذا، وينكره عليهم.

فيقول القرآن الكريم: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦]؛ ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [النحل: ١٧ - ٢٣]. ﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١١].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف: ٤، ٥].

ثم يجعل - كذلك - انفراده - عز وجل - بالآلاء والنعم دليلاً علىٰ استحقاقه وحده بالإلهية والعبادة، فيسوق القرآن النعم ظاهرة وباطنة، ثم يتساءل: من المنعم بهذه النعم؟ وإذا كان الله هو المنفرد بالإنعام، وهو المعطي لهذه النعم كلها، وهو المحسن بها. فكيف نجعل له نداً لم يعطنا شيئًا، ولم ينفعنا بشيء، ولا يستطيع لنا جلب نفع، ولا دفع ضر؟!.

إبراهيم عليه السلام - إمام الحنيفية - وهو القدوة لكل من جاء بعده بالتوحيد - توحيد الإلهية خاصة - يقول لقومه: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت: ١٦، ١٧].

أي: إن كنتم أناسا تفهمون، ولكم عقول تفهم، فلا بد أن تفردوه وحده - سبحانه وتعالىٰ - بالعبادة، وأن تتقوه حق تقاته، فلماذا يا إبراهيم أمرت الناس بهذين الأمرين ﴿اعبدوا الله واتقوه﴾. قال: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾. وأنا أدعوكم إلىٰ عبادة

الله وحده. فهذا هو ما يقتضيه العقل السليم، وهو ما يقتضيه الحق والإنصاف، إن كنتم منصفين؛لأن آلهتكم هذه إنما هي إفك أفكتموه، إنما هي أسماء سميتموها، ولا حقيقة لها في الواقع، إنما هي أوهام، إنما هي خيالات تخيلتموها، فأين هي؟، هل تسمعكم إذا دعوتموها؟، هل تملك لكم نفعًا أو ضرًا؟، أبدًا. قال: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾. ولماذا يا إبراهيم لا نعبدها؟. قل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴾.

هل يقدر أحد منهم أن ينزل لكم قطرة من السماء؟ هل يقدر أن ينبت لكم عودًا من الأرض؟ لو اجتمعوا جميعًا علىٰ أن ينزلوا قطرة من السماء - حبسها الله ولم يرد إنزالها - ما استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلاً. لو اجتمعوا جميعًا علىٰ أن ينبتوا عودًا من الأرض ما استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلاً. إذن كيف يليق بعاقل أن يلجأ إلىٰ هذه الآلهة العاجزة الضعيفة الفقيرة؟! وأكثر من ذلك ... ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

وتجد دعوة إبراهيم - عليه السلام - في مقام آخر في القرآن، حيث يقول الله تعالىٰ: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ

يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٩ – ٨٢].

قال إبراهيم لقومه: ما تعبدون؟؛ قالوا: نعبد أصنامًا فنظل لها عاكفين؛ قال إبراهيم: هل يسمعونكم إذ تدعون، أو ينفعونكم أو يضرون؟... لأن الذي يستحق العبادة هو الإله الذي يسمع دعاء من دعاه، والذي إذا سمع دعاء من دعاه ملك الإجابة، فإن كان الداعي يريد جلب نَفْع نَفَع، وإن كان يريد دفع ضر كشفه، فقال لهم : هل يسمعونكم إذ تدعون؟ أو ينفعونكم أو يضرون؟ لأنه يجب أن يكون الإله كذلك، وإلا كيف يكون إلهًا؟. ولماذا نعبده إذا كان لا يسمع ولا يجيب؟ قالوا: لا يسمعوا، ولا ينفعوا، ولا يضروا. لماذا اتبعتموهم؟ تقليدًا للآباء. ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ يعني: مجرد التقليد للآباء والأجداد.

فإبراهيم – عليه السلام – لما سمع كلام هؤلاء الغافلين – الحمقىٰ – أعلن البراءة منهم، ومن معبوداتهم جميعًا، واستثنىٰ معبوده الحق الذي هداه الله بفطرته إلىٰ عبادته، قال: ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ

تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي ﴾.

هو في الحقيقة كان من المناسب أن يقول إبراهيم – عليه السلام – فإني عدو لهم، لكن قال: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي ﴾ يعني: جعل العداوة منهم له، كأن عداوته لهم ليست في حاجة أن يصرح بها إبراهيم، بل هم أعدائي، وأنا عدو لهم طبعًا، ﴿ إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾.

هذا يشير إلىٰ أن القوم كانوا يعبدون الله رب العالمين ويعبدون معه تلك الآلهة، فهو استثنىٰ من معبوداتهم معبودًا واحدًا، وهو رب العالمين قال إبراهيم: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي ﴾ أي: كل معبوداتكم أعداء لي إلا من عبدتموه حقًا لأنه رب العالمين.

لماذا يا إبراهيم اخترت هذا المعبود فقط، وكفرت بما عداه، وجعلتهم كلهم عدوا لك إلا هذا المعبود الواحد؟!. فجاء بحيثيات الحكم – إن كان لهم هم شيء فيما سأقول – إذن يستحقون العبادة، لكني سأذكر من شئون هذا الإله ما لا يستطيع واحد من هذه الآلهة أن يزعم أن له في هذا الأمر شيئًا:

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي ﴾. فهل من هؤلاء من خلق من إبراهيم عضوًا أو شعرة أو ذرة؟ أبدًا، ثم قال: ﴿ فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ أي: خلقني، وهو المتكفل بهدايتي، وإرشادي، وإلهامي إلىٰ ما فيه مصلحتي ونفعي. طبعًا هم لا يستطيعون الادعاء بأن آلهتهم تخلق أو تهدي. ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي

ويَسْقِينِ﴾. فهل تستطيع آلهتكم أن تطعمني لقمة عيش، أو تقدم لي شربة ماء؟ أبداً!!!، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾، أي: ألمّ بي مرض، ونزل بي ضر ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾، ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢)﴾.

فهذه هي حيثيات إبراهيم – عليه السلام – في اختياره لمعبوده الحق؛ لأنه هو الذي يقوم لإبراهيم بكل هذا، فهو الحقيق والجدير بأن يعبد وحده، ولا يعبد غيره ممن لا يخلق ولا يهدي، ولا يطعم ولا يسقي، ولا يشفي من مرض، ولا يغفر خطيئة.

وهكذا ترى القرآن العظيم يسير مع هؤلاء المقرّين بتوحيد الربوبية والمنكرين لتوحيد الإلٰهية، فيجعل توحيد الربوبية حجة عليه ما داموا مقرين به، وهو يقتضي: أن يكون هذا الرب الواحد هو الإله الذي لا تنبغي العبادة إلا له، لأنه لا يستحق أن يكون معبوداً إلا من كان ربًا قائمًا لعباده بكل شئون الربوبية.

فالقرآن تحدث طويلاً عن توحيد الربوبية، وساقه دليلاً لتوحيد الإلٰهية، ثم أخبر وهو يدعو إلىٰ توحيد الإلٰهية عن عجز وفقر وضعف كل من يدعىٰ من دون الله، وجهل من يدعوه؛ لأنه يدعو من لا يملك له نفعًا ولا ضراً ولا موتًا ولا حياة ولا نشوراً. ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا

يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٣].

ثم يقرر القرآن عجز هذه الآلهة بأبلغ وجه، ويضرب مثلاً لهذا العجز فيقول: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الحج: ٧٣، ٧٤].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ تعني: كل من يدعىٰ من دون الله، لا تتحاشىٰ أن تدخل في هؤلاء كل من عبد من الرسل والأنبياء، والملائكة والأولياء، فالقرآن لا يحابي أبداً في باب التوحيد، وإنما يريد أن يقول لهم: كل من دعوتم من دون الله: العزيز، المسيح، محمد، وكل من عُبد من المشايخ والأولياء، وكل من عُبد من الملائكة، الذين قالوا: إنهم بنات الله.

شأنه شأن من لا يملك شيئًا، ولا يقدر علىٰ شيء.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ﴾ كلمة الذين: صيغة عموم تشمل كل من دعي، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن ﴾، لن : تفيد عجزهم المؤبد. ليس عجزاً وقتيًا ولا عجزاً في الحال، وبعد ذلك يقدروا، لا، قال: ﴿ لَن ﴾ لكي تفيد أن عجزهم علىٰ طريق التأبيد في المستقبل. يعني أنهم عاجزون – في كل وقت – حالاً أو مستقبلاً أن يفعلوا هذا. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا﴾، ولم يأت القرآن في التحدي بشيء كبير، فلم يقل بقرة ولا جملاً - فضلاً عن السماء والأرض والنجوم - إنما تحداهم بأصغر وأحقر مخلوق، قال: ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ هذا الكلام لو انفرد كل واحد منهم لن يقدر، فماذا لو اجتمعوا !! قال: ﴿وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ نعم: لن يقدروا أن يخلقوا، ولكن أليس لهم من الأمر شيء يقدرون عليه؟ قال: لا. هم أعجز وأحقر من هذا.

فالذبابة لو وقعت علىٰ أحدهم - أحد هذه الآلهة المزعومة - وغرست خرطومها فامتصت بعضًا من دم أو غيره وطارت، فلن يستطيع إحضار الذبابة، ويستخلص منها ما سلبته من جسده ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾. فهل رأيت صورة للعجز أوضح وأعجب من هذا؟!!!.

هذا بالنسبة للخلق، انظر بالنسبة للملك: نفىٰ عنهم أيضًا كل ملك لما قال عن نفسه سبحانه: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر: ٩ – ١٧].

عرفنا الله بنفسه، وذكر بعض آياته ودلائل قدرته وحكمته، وأصبح الأمر في غاية الوضوح، قال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أي الذي عمل كل هذا ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾. فما لهؤلاء الذين يدعون من دونه ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ كما نفى عنهم – عن الآلهة المزعومة – أن يخلقوا ذبابًا نفى عنهم أن يملكوا قطميرًا. فما هو القطمير؟ . . .

سأقول لك: كما نفى الله عنهم خلق الذبابة – التي هي أحقر وأصغر شيء – نفى عنهم أيضًا ملك القطمير – الذي هو أيضًا أحقر وأصغر شيء – لأن القطمير: هو تلك القشرة البيضاء التي تراها على

النواة حين تأكل تمرة أو بلحة فهي قشرة بيضاء رقيقة جداً. تافهة الوزن - فكل من دُعي وعُبد من دون الله ﴿ **مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ** ﴾[(١)]، وليس هذا فقط ... بل مع نفي الملك عنهم، ذكر من شأنهم ما يشكك فيهم كل من يدعوهم أو يعبدهم: ﴿ **إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ** ﴾، أين الآذان؟! - لقد تآكلت الآذان والطبلة والصمام - لم تعد هناك أذان تسمع، ولا أعين ترى - كما يزعم الصوفية - بأن شيوخهم يجلسون في قبورهم مربعين!!! ومن دخل عليهم من الدراويش يسلم عليهم فيردوا عليه السلام! و يدعوهم فيقولون له: حاضر، سنفعل لك ما تريد. لا تخاف فكل ما تطلبه مستجاب!

هذا كلام غير صحيح يقولونه للناس، وليس هناك شيء - والله ما تحت القبة شيء - إنما تحت القبة رماد، وتراب، وليس فيها شيء أبداً، إنما هي خشبة أو بناء صماء بكماء عجماء، فكيف يسمع الميت؟! يقولون لك: لا ... إن أرواحهم تعود مرة أخرى، فترى وتسمع وتتكلم!!!. ولو كانت الروح تسمع وترى وتتكلم بدون الجسد، فما كان هناك ضرورة لهذا الجسد، إنما الجسد هو (آلة للروح) لا يمكن أبداً للروح أن تعمل عملاً إلا بواسطة تلك الآلة. فلا ترى الروح إلا بالعينين

---

(١) تدبّر في ذكر (قطمير) ذلك التافه اليسير الذي لم يتميز بمقدرته على الغذاء ولا على الإنبات.

التي خلقها الله في الجسد، ولا تسمع إلا بالأذنين التي خلقها الله في الجسد، ولا تتكلم إلا باللسان الي خلقه الله في الجسد، ولهذا ربنا - عز وجل - يعيد الروح للجسد بعد الموت ويحيي الميت لكي يسأله. فلو كانت الروح تسأل، وتستطيع أن تجيب لسألها الله دون أن تعود للجسد ثانية.

فلا بد من الجسد للروح - حتىٰ في النعيم والعذاب - فلكي تنعم الروح أو تتألم فلا بد من الجسد. ولهذا كان البعث وكان النشور، فسيدخل الناس الجنة بأجسادهم، والنار بأجسادهم، لكي يحسوا بالألم أو يشعروا بالنعيم، فدعوىٰ أن الروح ناطقة وتسمع أهل الدنيا ... دعوىٰ باطلة ... فهم كذابون لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾**﴾ [الزمر: ٤٢].

فالروح ممسكة عند الله، وليست في الجسد، وكذب من يقول: أن الروح في الجسد بعد الموت، أو تحوم حول القبر في بعض الأيام، كل هذه الآثار لا أصل لها، والأرواح عند الله، وهي مشغولة بما هي فيه، إن كانت منعمة فهي مشغولة بنعيمها، وإن كانت معذبة فهي مشغولة بعذابها، ولا توجد أي صلة بين

الأحياء والأموات أبداً، والميت لا يعرف عن شئون الحي أي شيء أبداً . .

صحيح وردت بعض الآثار أن أرواح الموتىٰ القدامىٰ تتلقىٰ أرواح الموتىٰ الجدد، وتسألها : ماذا عمل فلان؟، فلانة تزوجت بعد زوجها أم لا؟، وكيف حال فلان؟[١] . فلو كانت تعلم بأحوال الأحياء، فلماذا تسأل أرواح الموتىٰ الجدد؟ . وهذا كله كلام غير صحيح .

نقول : أن من يزعم من الصوفية - أن مشايخهم يسمعون ويجيبون - فهؤلاء يكذبون بصريح القرآن؛ لأن القرآن الكريم يقول : ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ﴾، ولأن القرآن كتاب حجج وكتاب بيان، فتنزل معهم، ولو فرضنا جدلاً أنهم سمعوا، ما استطاعوا الإجابة ولا يملكونها ﴿ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾، فنفىٰ عنهم السماع أولاً، ثم نفىٰ عنهم أنهم يستطيعوا إجابة من دعاهم .

ثم قال : أنتم تدعون هؤلاء، وهؤلاء عباد لنا صالحون، ويوم القيامة سنسألهم : هل أنتم الذين أمرتم الناس أن يعبدوكم أو يتخذوكم آلهة

---

(١) انظر: مختصر التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، دار العاصمة ص ٦٣ - ٦٤ .

مع الله؟ فسيتبرؤون من ذلك، ويكفرون بشرككم. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾.

وهذه الآية واضحة، لأنهم يقولون: إن هذه الآية نزلت في الأصنام - وهذا كذب - فهذه الآية ما نزلت في الأصنام أبداً. لأن الأصنام لن تكفر بشرك هؤلاء، إنما الذي سيكفر بشرك هؤلاء هو عيسى - عليه السلام - سيكفر بعبادة النصارى له، ويتبرأ من هذا، كما أخبر عنه القرآن: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧].

وسيكفر بشركهم العزير فسيتبرأ من اليهود الذين قالوا: إنه ابن الله، والملائكة سيتبرؤون ممن عبدهم من الصابئة الذين قالوا: إنهم بنات الله ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١]. سيقول الله للملائكة: أأنتم قلتم لهم اعبدونا؟ فكان جوابهم: ﴿سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم

بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ أي: لا العابد يملك للمعبود، ولا المعبود للعابد(١).

ثم يصور لنا القرآن صورة - الأحمق - الذي يدعو من دون الله من لا يملكون له إجابة لدعائه، ولا قضاء لحوائجه، بصورة تنفر كل إنسان، وتربأ بكل عاقل عن أن يضع نفسه هذا الموضع الشنيع.

من منا يرضىٰ أن يكون في صورة هذا - الأحمق - الذي عطش عطشًا شديدًا، فوجد نهرًا يجري، فهرع إلىٰ هذا النهر، وجلس علىٰ شاطئه، ويكاد يموت من العطش، وبدلاً من أن يغترف بيديه ويشرب اكتفىٰ بأن بسط كفيه علىٰ الماء طامعًا ومؤملاً أن يصل الشراب إلىٰ فيه!!.

فهذا الأحمق لو مكث علىٰ هذه الحالة سنة لما بلغ الماء فاه أبدًا. كذلك من يدعو غير الله سيظل يدعو ويدعو ولا إجابة

---

(١) وهكذا كل عبد صالح عُبد في الدنيا بعد موته يتبرأ يوم القيامة من عابديه، فالحسن والحسين وعلي بن أبي طالب وفاطمة وزينب والشافعي وغير هؤلاء من صالحي المؤمنين الذين نسب إليهم أهل الشرك كذبًا وزورًا أنهم يدعونهم وهم يستجيبون، سيتبرأ كلٌّ من عبادتهم يوم القيامة لتمام الحجة على هؤلاء المشركين. تدبروا يا من تطوفوا بالقبور، ويا من تدعون غير الله واعتبروا يا أولي الأبصار.

لدعائه، ولا يعود عليه من هذا الدعاء إلا أنه أتعب نفسه، وأعيا نفسه، ذلك قول الله تعالىٰ تصويرًا لحال هؤلاء الحمقىٰ، الذين يدعون أمام هذه الأضرحة متهافتين، ينعي عليهم حماقتهم وجهلهم: يقول الله عز وجل ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد: ١٤].

يقول الله عز وجل: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾. أي: من دعاه فقد دعىٰ من يستحق أن يُدعىٰ؛ لأنه يسمع داعيه ويجيب من دعاه. ﴿لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ يعني: إن كان من بسط كفيه علىٰ الماء يبلغ الماء فاه عندئذ يستطيع هؤلاء أن يجيبوا دعاء من دعاهم.

فإذا كنا نعلم جميعًا أن من بسط كفيه علىٰ الماء لن يبلغ الماء فاه أبدًا - مهما أطال الجلوس علىٰ الماء - فكذلك يجب أن نعلم أن داعي غير الله لا يمكن أن يجاب دعاؤه - أبدًا مهما أطال الدعاء - ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿مَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾، وكلمة الضلال تعني: الضياع. أي: ضاع عليهم الوقت الذي أنفقوه في دعاء غير الله، وكان يمكنهم قضاؤه في أشياء نافعة.

وكما نفى القرآن الخلق والملك عن هذه الآلهة نفىٰ عنهم - أيضًا - ما يدّعون من شفاعتها عند الله؛ لأن القرآن يسد كل منافذ الشرك التي ينفذ منها أبالسة الشرك ويحتجون بها؛ فسد عليهم كل باب.

استمع إلىٰ هذه الآية الكريمة من سورة سبأ تقطع كل حجة للمشركين فلا تدع لهم بابًا من أبواب الرجاء والأمل في هذه الآلهة: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ: ٢٢ - ٢٤].

فنفىٰ الله عنهم الملك بأبلغ وجه حين نفىٰ عنهم أنهم يملكون مثقال ذرة. ﴿لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾. فيقول المشرك: نعم إنهم لا يملكون علىٰ سبيل الاستقلال لكن لهم شركة مع الله في الملك. فقال الله: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ فنفىٰ عنهم الملكية علىٰ سبيل الاستقلال، ثم نفىٰ عنهم الملكية علىٰ سبيل الشركة.

يقـول المشـرك: هم لا يملكون ... لكن كل ملك له وزراء وله أعوان ... فربما كانوا أعوانًا للمالك، قال الله: ﴿ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ أي: ليس محتاجًا لمعونة أي أحد. فيقول المشركون: ليس هناك ملك ولا ظهارة ولا معاونة، لكنها شفاعة، وهذه هي التي يحتجون بها الآن، فقال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ .

فسدّ القرآن عليهم كل باب؛ فلا يملكون، ولا شركة لهم في الملك، ولا هم ظهراء للمالك، ولا أعوان له، ولا لهم شفاعة عنده. لأن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه، ومن أين لكم أنه أذن لهؤلاء أن يشفعوا؟. ﴿ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ .

فالقرآن يجعل ما أقرّ به هؤلاء المنكرون دليلاً عليهم؛ فلما أقرّوا بتوحيد الربوبية جاء به القرآن دليلاً علىٰ توحيد الإلـٰهية، كذلك قد يتخذ القرآن من انفراده سبحانه بالأسماء الحسنىٰ دليلاً - كذلك - لتوحيد الإلـٰهية، لأن هؤلاء المشركين كانوا مع إشراكهم يعتقدون بأن الله منفرد بما له من الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، وإن كانوا قد اشتقوا لآلهتهم من أسماء الله، فمثلاً: اللات من الإله، والعزىٰ من العزيز، ومع هذا فهم لا يسوون أبداً في هذا بين الله وبين غيره، فالله تبارك وتعالىٰ يتخذ من أسمائه الحسنىٰ سبيلاً علىٰ وجوب انفراده بالإجابة. انظر حينما قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣]؛ كيف ختم الله الآية: ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ فاحتجت لتوحيد الإلهية بهذين الاسمين الكريمين، قبل أن تحتج بالآيات الكونية، أي أنها احتجت بانفراده سبحانه بأنه الرحمن الرحيم؛ فهذا يقتضي أن يعبد وحده لأن غيره لا رحمن ولا رحيم.

ثم جاءت الآية بعد ذلك تبين الدلائل الكونية على وجوب توحيد الإلهية: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

ويظهر بوضوح في سورة الحشر الاستدلال بالأسماء الحسنى، دليلاً لتوحيد الإلهية فيقول الله عز وجل: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾. فأتى بقضية التوحيد ثم أتى بالدليل: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

فكون الأسماء الحسنىٰ له وحده دليل - بل من أكثر الأدلة - علىٰ أنه الإله الأحد الذي لا تكون الإلٰهية والعبادة إلا له.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله ولي ولكم، وشكر الله لكم، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

* * *

المحاضرة الثانية

توحيد الأسماء والصفات

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الثانية

توحيد الأسماء والصفات

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين نبينا محمد عبد الله ورسوله، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ... أما بعد ...

تكلمنا – في المحاضرة السابقة – عن كل من توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية وقلنا: إن توحيد الربوبية يقوم علىٰ: إفراد الله – عز وجل – بكل شئون الربوبية من: خلق، ورزق، وملك، وتدبير، وحفظ، وإحياء، وإماتة ... إلىٰ غير ذلك، مما يدخل في حكم الربوبية، ومما يتعلق به الحكم القدري، يعني: كل الأحكام القدرية داخلة في توحيد الربوبية، فالله – تبارك وتعالىٰ – رب كل شيء وخالقه، ومليكه لا شريك له، لا في خلق، ولا في ملك، ولا في تدبير.

ويمكن أن نختصر معنىٰ توحيد الربوبية في أن المراد به: توحيده بأفعاله – جل وعلا – أي أن: أفعال الله – سبحانه وتعالىٰ – كلها

صادرة منه، بإرادته ومشيئته، لا رب غيره ينازعه شيئًا في الملك، ولا في السلطان.

أما توحيد الإلهية: فهو إفراده - عز وجل - بكل ما يدخل في معنى العبادة، أي: كل ما يطلق عليه كلمة عبادة، أو يدخل في مفهوم كلمة عبادة، يجب أن يكون لله وحده، ويجب أن نخلص فيه لله - عز وجل - فلا نجعل من عبادتنا شيئًا لغيره.

ويمكن أن نختصر معنى توحيد الإلهية في أن المراد به: توحيده بأفعالنا أي أن أفعالنا كلها يجب أن تتجه إليه وحده، وأن نقصده دائمًا مخلصين له الدين، وألا تتوزع إراداتنا، ولا نيّاتنا، بينه وبين غيره، بل يجب أن تتجه إليه كل القصود، وكل النيات، وكل الإرادات، فلا يكون له شريك في نياتنا، ولا في إراداتنا، ولا في أعمالنا.

وقد أوفينا الكلام - فيما أعتقد - في هذين النوعين من التوحيد، وبقي النوع الثالث من أنواع التوحيد، وهذا النوع هو أخطر الأنواع، وهو الذي وقع فيه نزاع طويل بين أهل السنة، وبين خصومهم، من الجهمية والمعتزلة والأشعرية، وغيرهم من أئمة التعطيل والنفي، وهو توحيد الأسماء والصفات، فيجب أن ننتبه لهذا النوع جيداً، وأن نكون على بصيرة مما نسمع في محاضرتنا هذه الليلة.

إن هذا النوع من التوحيد، هو الذي يميز أنصار السنة الآن ـ صحيح أننا نتميز عن غيرنا في توحيد الإلٰهية حيث نقف ضد القبوريين وعباد الأضرحة، ونبين العبادات الواجب إخلاصها لله عز وجل ـ إنما هذا النوع من التوحيد ـ توحيد الأسماء والصفات ـ ذو أهمية بالغة، فيجب علينا أن ندقق في فهم كل ما يتصل بهذا الموضوع.

ما المراد بتوحيد الأسماء والصفات؟

معنىٰ التوحيد: الإفراد، فتوحيد الأسماء والصفات معناه: أن نفرد الله ـ عز وجل ـ كما أفردناه في ربوبيته وفي إلٰهيته ـ أن نفرده، وأن نخصه ـ سبحانه ـ بما له من الأسماء الحسنىٰ، والصفات العليا التي لا ينبغي أن تكون إلا له وحده.

أي أن: الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ منفرد بما له من الأسماء الحسنىٰ التي لا ينبغي ولا تليق إلا له وحده، وله صفاته العليا التي لا يدخلها نقص بأي وجه من الوجوه، بل له الكمال المطلق الذي لا حد له، ولا نهاية وراءه، فكل كمال ممكن ثابت لله، وكل صفة كمال ثبتت لله ـ عز وجل ـ بالغة حد الكمال المطلق، الذي لا يعقل أن يكون وراءه كمال آخر.

ما معنى الأسماء والصفات؟

معنىٰ الاسم: اللفظ الموضوع للدلالة علىٰ المسمىٰ. أي: هو كل ما دل علىٰ مسمىٰ شيء معين، أو شخص معين. فأنت إذا سميت ولدك محمدا، أو عليا، أو إبراهيم، فهذه كلها أسماء لها مدلول، ومدلولها هو ذلك الشخص المسمىٰ بواحد من هذه الأسماء، حتىٰ إذا أطلق الاسم انصرف إلىٰ مسماه. فإذا قلت: رأيت عليًا، أو خاطبت محمداً، فهم من تكلمه أنك تعني بعلي ذلك الشخص الفلاني أو بمحمد ذلك الشخص الفلاني.

أما معنىٰ الصفة: فهي التي تقوم بالموصوف. يعني: الصفة هي معنىٰ قام بذات، تسمىٰ الذات موصوفة بتلك الصفة، وتلك الصفة تعتبر معنىً قائمًا بتلك الذات. وعلىٰ هذا: فعلينا أن نبحث عن أسماء الله - عز وجل - وصفاته. فالله - تبارك وتعالىٰ - له أسماء وردت في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة، ففي الحديث: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة»[١].

هذه الأسماء لأنها جاءت علىٰ لسان الشرع، ولأن الله - تبارك وتعالىٰ - قد سمىٰ نفسه بها، في كتابه أو نطق بها رسوله ﷺ

---

(١) رواه البخاري في الشروط (٢٧٣٦)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٧٧).

- أصبح كل واحد منها اسمًا لله - عز وجل - يجوز أن نطلقه عليه، والله - تبارك وتعالىٰ - لم يعلمنا بكل أسمائه، ولا بكل صفاته، بل عرفنا من ذلك ما أراد وعلم - سبحانه - أنه يكفينا في معرفته.

هذه الأسماء - أسماء الله تعالىٰ - سميت حُسنىٰ، فما معنىٰ كلمة حسنىٰ؟. كلمة حسنىٰ تقابلها: كلمة سوءىٰ، وحُسنىٰ هي أنثىٰ أفعل التفضيل: الأحسن. يقال: هذا أحْسنْ وتلك حُسنىٰ، فمعنىٰ ذلك أن: الأسماء الحُسنىٰ هي أحسن الأسماء، وأكملها، وأشرفها، ولا يوجد أسماء أخرىٰ تعدلها أو تُساميها في الحسن، ولا في الكمال، ولا في الجمال، ولا في الشرف. بخلاف سوءى، فإن معناها: أقبح وأعيب وأنقص الأسماء ... فللّه وحده الأسماء الحُسنىٰ، وأما غيره فإن وجد في أسمائه حُسن فهذا حُسن نسبي ليس حُسنًا مطلقًا، وأما الحُسن المطلق ففي أسمائه، وحده سبحانه وتعالىٰ؛ لأنه حُسن لا يدخله سُوء، ولا يدخله نقص، ولا يَعْتَريه عَيْب أبدًا. قال تعالىٰ: ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال العلماء: إن أسماء الله جميعًا أسماء مشتقة، ولم يقع خلاف بين العلماء إلا في اسم الجلالة (الله)، هل هو اسم جامد؟، أم اسم مشتق؟. فسيبويه - إمام النحويين - يرىٰ أنه اسم جامد، وأنه علم

علىٰ الذات الإلٰهية المستجمعة لصفات كمالها، وأنه ليس له مبدأ اشتقاق معروف، بل قيل: إنه اسم أعجمي، وليس بعربي.

ولكن الصحيح الذي جرىٰ عليه جمهور العلماء: أن اسم الجلالة اسم مشتق - وإن غَلَبَتْ عليه العلمية حتىٰ تُنُوسِيَ الوصف فيه، فهو - أيضًا - اسم مشتق من الإلاهة بمعنىٰ: العبادة. يقال: آله .. يأله .. إلاهة، بمعنىٰ: عَبَدَ .. يَعْبُدَ ... عبادة. فالله معناه: المألوه. أي: المعبود بحق، وكل ما عبد من دونه عُبِد بالباطل، ولا حق له في تلك العبادة.

ما معنى الاسم الجامد والاسم المشتق؟

الاسم الجامد: هو اسم وضع - من أول الأمر - للدلالة علىٰ الذات، ولم يكن له مبدأ اشتقاق، ولكن وضع لكي يكون علمًا فقط علىٰ ذات معينة. كما نقول - مثلاً - جبل، شمس، قمر .. كل هذه أسماء جوامد ليس لها مبدأ اشتقاق.

الاسم المشتق: يكون متفرعًا من ثبوت صفة لمن يسمىٰ بهذا الاسم. أي الاسم المشتق: يصبح فيه الصفة هي مبدأ اشتقاق لهذا الاسم، فإننا إذا قلنا: الله عليم، فعليم - اسم من الأسماء الحسنىٰ - مشتق من صفة العلم الثابتة لله، فلما كان الله متصفًا بصفة العلم، اشتق له من تلك الصفة اسم هو عالم أو عليم.

وكذلك إذا قلنا: الله قادر فهناك صفة القدرة، اشتق منها لله اسم قادر، وهكذا ترىٰ: أن كل اسم من الأسماء الحسنىٰ متضمن لصفة من الصفات، وتلك الصفة لله – عز وجل – هي مبدأ اشتقاق هذا الاسم، فلولا أنه – سبحانه – موصوف بهذه الصفة، ما أطلق هذا الاسم عليه – عز وجل –.

وعلىٰ هذا فإن: كل اسم مشتق مركب من ذات مضافًا إليها صفة، فعالم ذات مضاف إليها علم، وقادر ذات مضاف إليها قدرة، وهكذا .. فلله – عز وجل – من الصفات بقدر ما له – سبحانه – من الأسماء؛ لأن كل اسم من أسمائه – جل وعلا – متضمن ومشتمل علىٰ صفة من الصفات، فإذا تأملت كل اسم من هذه الأسماء الحسنىٰ عرفت ما يدل عليه هذا الاسم الكريم من صفة، أثبتها الله – عز وجل – لنفسه حين سمىٰ نفسه بهذا الاسم. فهذا هو معنىٰ الاسم المشتق. وإذا كانت أسماء الله – عز وجل – كلها مشتقة فكل اسم من أسمائه متضمن لصفة ثابتة له سبحانه وتعالىٰ.

هذا كلام أساسي ومبدئي – قبل الدخول في الموضوع – فلله أسماء، وله صفات. والصفات هي مبدأ اشتقاق تلك الأسماء، والأسماء دالة علىٰ الصفات، لأن كل اسم دال علىٰ الذات الموصوفة بتلك الصفة، والله – تبارك وتعالىٰ – سمىٰ نفسه في القرآن الكريم

بهذه الأسماء. والسؤال الآن: هل كان الله يريد أن يطلق علىٰ نفسه هذه الأسماء من غير دلالة علىٰ معانيها؟ أو من غير دلالة علىٰ الصفات التي تضمنتها هذه الأسماء؟

في هذه القضية – نجد خصوماً ومعارضين لنا، فخصومنا في هذه القضية هم: المعتزلة، وابن حزم، والجهمية.

أما الجهمية فهؤلاء خارجون عن الدائرة. يعني: هم كفار[١]، وليسوا مسلمين لأنهم نفوا الأسماء والصفات لله، فلم يثبتوا لله أسماء ولا صفات، فهؤلاء غلاة، وقد كفرهم السلف – رضي الله عنهم – فلا شأن لنا بهم.

إنما الكلام مع المعتزلة، ومع ابن حزم. فالمعتزلة – زعموا – أنه: ليس هناك وراء هذه الأسماء صفات، بل ليس هناك إلا الاسم المجرد. ولا معنىٰ للاسم إلا الذات وحدها، فالله حين سمىٰ نفسه بهذه الأسماء لم يرد إلا الدلالة علىٰ الذات المجردة التي لا نعت لها ولا صفة.

وغلا ابن حزم فقال: إن أسماء الله جوامد، وليس لها مبدأ اشتقاق، بل هي مترادفة كلها، وضعت للدلالة علىٰ الذات، ولا تتضمن شيئاً من الصفات. أي: المعتزلة أهون من ابن حزم. لأنهم

---

(١) تكفير الجهمية فيه خلاف، وتكفيرهم بلازم المذهب.

اعترفوا: بأن هذه الأسماء مشتقة، لكن قالوا: ليس لها مبدأ اشتقاق.

فلهؤلاء نقول: كيف تثبتون الأسماء، وتنفون الصفات؟!، إن هذا تناقض. إن كل من يثبت اسمًا مشتقًا يجب عليه أن يثبت مبدأ الاشتقاق الذي هو الصفة التي تضمنها ذلك الاسم. وإلا كان متناقضًا، لأنه: إذا كان الاسم مشتقا، وهو دال علىٰ الصفة، فكيف أجرد الاسم من معناه الذي هو مدلوله ومفهومه؟!

قال ابن حزم: لا دليل علىٰ ثبوت الصفات. نقول لابن حزم: بل الصفات واردة في القرآن وفي السنة من غير الأسماء أي: ورد في القرآن الكريم إثبات الصفات لله – عز وجل – من غير الأسماء؛ ليدل علىٰ أن هذه الأسماء متضمنة تلك الصفات. فالله تعالىٰ يقول: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء: ١٦٦]، فأثبت علمًا مأخوذ من عالم، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات: ١٨٠]، فأثبت عزة. ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨]، فأثبت قوة. ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، أثبت رحمة.

فهذه الصفات موجودة في القرآن بدون الأسماء، مما يدل علىٰ أن هذه الأسماء متضمنة لتلك الصفات.

وكذلك في السنة نجد كما في حديث الاستخارة: (اللَّهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم)[١]، وكما في حديث الرقية: (أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجدر وأحاذر)[٢]، وفي الحديث: (الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري)[٣].

فهذه الأحاديث تثبت لله صفات، ليست مأخوذة من الأسماء وإنما أثبتها القرآن والسنة مجردة عن الأسماء. علىٰ هذا فهؤلاء مخالفون لسائر العقلاء، ومخالفون لكل لغات الدنيا، فكل لغات الدنيا فيها أسماء مشتقة، وهذه الأسماء المشتقة تدل علىٰ ثبوت الصفة التي اشتقت منها تلك الأسماء.

إذن: لله تعالىٰ أسماء وله صفات، والأسماء الحسنىٰ يجمعها أنها جميعًا مشتقة وأنها جميعًا حسنىٰ، وأنها دالة علىٰ ثبوت الصفات لله تبارك وتعالىٰ. والكلام ليس في الأسماء، لأنها معروفة ومحفوظة، وقد وردت في الكتاب والسنة. إنما الذي يعنينا: أنه لا يجوز إطلاق اسم

---

(١) رواه البخاري في مواضع منها: التهجد (١١٦٦).

(٢) مسلم بنحوه في السلام (٢٢٠٢)، وأبو داود في الطب (٣٨٩١)، وغيرهما.

(٣) مسلم في البر والصلة (٢٦٢٠).

علىٰ الله، لم يرد الشرع بإطلاقه. لأنه - ما دمنا قد قررنا - أن كل اسم متضمن لصفة. فإذا أطلقنا علىٰ الله اسما من عند أنفسنا كان متضمنًا لصفة، ونحن لا ندري إن كانت تلك الصفة مما يجوز أن تثبت لله، أو مما لا يجوز أن تثبت لله. فإذا سميناه - جل وعلا - باسم لم يسم به نفسه، أو لم يسمه به رسوله ﷺ نكون ملزمين بأن نثبت لله تلك الصفة التي دل عليها هذا الاسم، وهذه الصفة لا ندرك إن كانت مما يصح ثبوته لله أو لا يصح.

فمثلاً: الأشاعرة يسمون الله (القديم)، فهل (القديم) يختص بصفة كمال وحسن، أو يحتمل معاني فاسدة - قطعًا - يمكن أن يوهم معنىٰ فاسد .فما معنىٰ : القديم؟. (القديم) : معناه - في اللغة - أنه متقدم في الوجود علىٰ غيره. نقول: هذا البيت قديم، يعني بني منذ سنين طويلة، أو نقول: هذا البيت أقدم من ذلك البيت، يعني: تقدمه في الوجود، إنما - يكون بعيداً عن الأذهان - أن اللفظ (قديم) يدل علىٰ (الأول) الذي لا شيء قبله. ولم يكن العرب يفهمون من اللفظ (قديم) أنه الشيء الذي لا أول له، لأنهم لا يعقلون شيئًا لا أول له. إنما يقولون: هذا الشيء قديم يريدون به تقدمه في الزمان، وأنه موجود من زمان بعيد. إنما لكي يفهموا من قديم أنه لا أول له، أو أنه قبل كل شيء، فهذا بعيد عن فهم العرب، الذين استعملوا لفظ قديم.

وعلىٰ هذا لك أن تسأل: هل لفظ (موجود) اسم من الأسماء الحسنىٰ؟ والجواب: لا... لا يجوز أن يقال: «موجود» اسم من أسماء الله الحسنىٰ؛ لأن لفظ: (موجود) يشارك الله فيه كل موجود من الموجودات - فالنملة موجودة، والذرة موجودة، والفيل موجود - وكل كائن من الكائنات يمكن أن يطلق عليه لفظ (موجود). فإذا قلنا: (الله موجود). فلا نريد إطلاق اسم علىٰ الله، وإنما نريد الإخبار عن الله بأنه موصوف بالوجود الذي هو ضد العدم، وذلك لأن هناك من يقول: إن الله غير موجود. فحينما نقول إن: (الله موجود)، فإننا نريد إثبات صفة الوجود لله - تبارك وتعالىٰ - ولا نعد لفظ: (موجود) اسمًا من أسماء الله الحسنىٰ. فإن إطلاق الأسماء علىٰ الله لا يكون إلا بتوقيف من الشرع الشريف، وإذْنٍ منه. فليس لأحد أن يسمي الله - عز وجل - باسم من عند نفسه.

فعندما يأتي المتكلم الأشعري يقول: (الله مريد)، (الله متكلم).

فهل (مريد) أو (متكلم) من الأسماء الحسني؟. لا ... (مريد) و (متكلم) ليست من الأسماء الحسنىٰ. فيأتي أحد الناس فيقول: يا أخي حينما نقول: (الله مريد) فنحن نثبت لله الإرادة، وأنت تقول لنا أن: (مريد) ليس من الأسماء الحسنىٰ؟. وحينما نقول: (الله متكلم) فنحن نثبت لله الكلام، وأنت تقول لنا أن: (متكلم) لىس

من الأسماء الحسنىٰ؟.

أقول لك: نعم ليس من الأسماء الحسنىٰ، لأن معناه: قد يوهم معاني، منها الحسن المحمود، ومنها المذموم. فإذا أطلقته علىٰ الله – عز وجل – ربما أوهم المعنىٰ المذموم إذا قلت: الله (متكلم)، الكلام قد يكون كذبًا أو صدقًا، فإذا قلت: الله متكلم بإطلاق، فهذا ليس مدحًا ولا ثناءً، لأن من الكلام ما هو مذموم، وهو الكذب والزور. والله لا يتكلم بالزور ولا بالكذب.

كذلك الإرادة تتعلق بالعدل وتتعلق بالظلم والجور. فإذا قلت: الله (مريد) بإطلاق دخل المعنىٰ المذموم في هذا. إنما لا يستعمل (متكلم) ولا (مريد) في حق الله إلا مقيدًا، (فالله متكلم بالصدق)، (مريد للعدل)، وهكذا ... لم يستعمل في القرآن – متكلم ولا مريد – إلا مقيدًا، لكي ينفي المعنىٰ المذموم. ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

أريد أن أقول: إن الأسماء التي يجب أن تطلق علىٰ الله – عز وجل – لا بد وأن يكون قد ورد الشرع بإطلاقها، وإلا فلا يجوز أن نسمي الله – سبحانه – باسم من عند أنفسنا، لأننا قد نطلق عليه – سبحانه – من الأسماء ما لا يليق، مما يوهم نقصًا أو عيبًا. ونحن نعرف أن أسماء الله كلها حسنىٰ لا نقص فيها، ولا توهم نقصًا بأي وجه من

الوجوه. وعلىٰ هذا فإن:

القاعدة الأولى من قواعد توحيد الأسماء والصفات هي:

أننا لا نطلق علىٰ الله اسمًا ولا نصفه بصفة إلا إذا ورد الشرع بإطلاق ذلك الاسم وإثبات تلك الصفة لله عز وجل.

القاعدة الثانية من قواعد توحيد الأسماء والصفات هي:

أن الله - عز وجل - فيما يثبته لنفسه، أو فيما يثبته له رسوله ﷺ من صفات، لا يجوز أن نتوهم مماثلة بين الله وبين أحد من خلقه في شيء من صفاته بل كل صفة أثبتها الله لنفسه، أو أثبتها له رسوله ﷺ يجب أن يقر في الأذهان أنها غير مماثلة، ولا مشابهة، لما هو من جنسها في المخلوق. كيف؟

هناك أسماء مشتركة بين الله وبين خلقه، أي: تطلق علىٰ الله - عز وجل - وتطلق علىٰ بعض المخلوقين، يعني: أنت حي، والله حي. أنت سميع، والله سميع. وأنت بصير، والله بصير، بل لقد سمىٰ الله - عز وجل - بعض الناس متكبرًا جبارًا: ﴿ **كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ** ﴿٣٥﴾ ﴾ [غافر: ٣٥]، وسمىٰ بعض الناس بالعزيز: ﴿ **وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ** ﴾ [يوسف: ٣٠] وسمىٰ بعض الناس بالملك: ﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ** ﴾ [يوسف: ٥٤].

هذه الأسماء كيف تطلق علىٰ غير الله، مع أن هذا يوهم المشابهة بين الله وبين من سمي بهذه الأسماء من المخلوقين؟ والواقع أنه: لا توجد مشابهة أبداً في اشتراك هذه الأسماء بين الله وبين خلقه، ولا يمكن أن يوهم مشابهة بين معانيها إذا أطلقت علىٰ الله، وبين معانيها إذا أطلقت علىٰ المخلوقين. إذا قلت: أنا حي، فحياتي أنا صفة لي، تناسبني كمخلوق؛ حياة سبقها موت، ويعتريها الموت، فهي حياة بين موتين، وهي حياة مهددة في كل لحظة بما يزيلها. وكذلك حياة الرسل، وحياة الأنبياء، وحياة الملائكة، وحياة الجن، فكل حي من هؤلاء الأحياء له حياة تخصّه، وتناسب ذاته كمخلوق. فأما حياة الله - تبارك وتعالىٰ - فحياة تخصه وتليق بذاته، لا تشابه بينها وبين حياة المخلوقين. فالبون شاسع، والفرق بعيد بين حياة الرب الأبدية التي لا أول لها ولا آخر، والتي هي لازمة لوجوده تعالىٰ، غير منفصلة عنه في لحظة من اللحظات، ولا تفارق ذاته، وهي أقوىٰ حياة، وأتم حياة، وأكمل حياة.

فكيف يتوهم متوهم حين يطلق لفظ: (حي) علىٰ غير الله أنه يماثل الرب في صفة الحياة؟!. فهذا التوهم باطل، كذلك قل: في العلم، وفي القدرة، وفي السمع، وفي البصر، وفي الكلام، وفي اليد، وفي الوجه، وفي العين، وفي كل ما أثبت الشرع الشريف لله - تبارك تعالىٰ - من صفات، حتىٰ الفرح، والضحك، والغضب. فالله يفرح.

وقد ورد في الصحيح: (أنه يفرح بتوبة عبده إذا تاب، كما يفرح أحدنا بضالته إذا وجدها بعدما ضلت منه)[١]. وورد أنه - سبحانه وتعالىٰ - يضحك: (يضحك من رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخلان الجنة)[٢]. وقد ورد: (أنه ينظر إليكم أذلين قلقين فيضحك، يعلم أن فرجكم قريب)[٣]، وقد ورد: (أنه سيضحك من هذا الرجل الذي سيكون آخر من يخرج من النار، حين يقول له: اذهب إلىٰ الجنة، فيذهب فيجد الجنة قد ملئت، فيرجع، فيقول له: ما وجدت لي مكانًا في الجنة، فيقول له: اذهب ادخل الجنة وهكذا. فيراجع الرب جل شأنه، وبعد ذلك يقول له: أترضىٰ أن يكون لك مثل تلك الدنيا في الجنة؟ فيقول: أتهزأ بي وأنت الرب، فيضحك الله من هذا الرجل)[٤].

فالضحك، والفرح، والغضب، والرضا، والمحبة كل هذه المعاني ثابتة لله بنصوص الكتاب وصريح وصحيح السنة، ومع ذلك لا يخطر

(١) البخاري في الدعوات (٦٣٠٩)، ومسلم في التوبة (٢٧٤٧) من حديث أنس. وقد ورد بنحوه عن غير واحد من الصحابة.
(٢) البخاري في الجهاد (٢٨٢٦)، ومسلم في الإمارة (١٨٩٠).
(٣) أحمد بمعناه (٤/ ١١، ١٢)، وابن ماجة في المقدمة (١٨١).
(٤) البخاري في الرقاق (٦٥٧١)، ومسلم في الإيمان (١٨٦) بمعناه.

ببال مؤمن – أبداً – أن محبته كمحبتنا، ولا ضحكه كضحكنا، ولا رضاه كرضانا، ولا غضبه كغضبنا، فكل ذات لها من الصفات ما يناسبها، فكما أن ذات الرب لا تماثلها ذات من ذوات المخلوقين، فكذلك صفاته سبحانه وتعالىٰ لا يمكن أن تماثلها صفة من صفات المخلوقين أبداً.

في هذا الجزء دائماً نجد مشاغبات من المعطلة، ويقولون لنا: أنتم تثبتون صفات لله موجودة في المخلوق، ومن شأن هذا أن يوهم المشابهة بين الله الخالق وبين المخلوق.

فيجب علينا أن ننتبه لأن إثبات هذه المعاني لله هو علىٰ ما يليق به سبحانه، وإثباتها في حق المخلوق هو علىٰ ما يليق بالمخلوق، فلا تماثل بين صفة الخالق، وصفة المخلوق. أي: ربنا – جل وعلا – يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١]، فكيف ينفي المثل عن نفسه، ويثبت لنفسه السمع والبصر؟ فإذا كان إثبات صفة موجودة في المخلوق لله – سبحانه وتعالىٰ – يقتضي التمثيل والتشبيه لتناقضت الآية. لأن صدر الآية نفي المثل عن الله، وختامها إثبات السمع والبصر لله.

فهم يأخذون علينا أو يشاغبوننا بمثل هذه المشاغبات الفارغة التي تدل علىٰ جهلهم، فحين أثبت الله – تبارك وتعالىٰ – صفة، وأنا

أعرف أن هذه الصفة موجودة في المخلوق، لا يعقل أن أتوهم بأي درجة من درجات التوهم، أن صفة الله - تبارك وتعالىٰ - تماثل صفة المخلوق. ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤].

أي: لا تقيسوا الله بخلقه أبدًا، في أي شأن من الشئون، إنما هو اسم أطلق علىٰ هذه الصفة، وتلك، لكن أنا أنظر إن كانت الصفة مضافة إلىٰ الله عرفت أن لها معنىٰ يليق بذات الله، وإن كانت الصفة مضافة إلىٰ صالح لأن يراد منه هذا وهذا.

مثل ما نقول: (يد)، اليد: مطلقة صالحة لأن يراد منها يد الله، وأن يراد منها يد زيد أو عمرو، فإذا أضيفت (اليد) تعينت، وتخصصت، وأريد منها معنىٰ خاص بمن أضيفت إليه، فلا يجوز أن يطلق هذا المعنىٰ علىٰ غيره، أو يثبت لغيره. إذا قلت: ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، يأتي المعطل يقول: أنا لا أعرف من معنىٰ اليد إلا هذه الجارحة. أقول له: كذبت. فإن لفظ: (اليد) في اللغة لم تستعمل أبدًا في الجارحة وحدها، بل استعملت لفظ: اليد في كل شيء يمكن به القبض، والتناول، والإعطاء، والأخذ.

ويمكن أن تطلق علىٰ الشيء الذي تقبض عليه. أي: الحقيبة، تسمىٰ يدها التي تمسكها بها: (يدًا) الحقيبة. في حين أنها ليست

هي التي تقبض. وأنت الذي تقبض عليها فتسمىٰ يدك (يداً). ويد الحقيبة (يداً). لأنك تقبض عليها. اعلم: أن كل ما يقبض أو يقبض عليه يسمىٰ (يداً). فكل ما به التناول والإعطاء والأخذ في اللغة: (يد).

فلماذا قصدت اليد بالجارحة؟ ومن الذي قال لك هذا؟ واللغة العربية لا تساعدك علىٰ هذا. إذن: فلفظ (اليد) مطلق كله، يتناول كل ما به الأخذ والإعطاء. فإذا أضيف إلىٰ الله أريد منه صفة لله بها يأخذ، ويقبض، ويعطي: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧]، ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٦٤].

فقد أثبت الله لنفسه (يداً). وأثبت أنه يأخذ بيده ويقبض ويعطي. وفي الحديث: (إن الله - عز وجل - يحثو بيده أو بكفه ثلاث حثيات من النار، فيطرحهن في الجنة بعد ما تنتهي الشفاعات كلها، يقول الله عز وجل: لم يبق إلا رحمة أرحم الراحمين)[1].

---

(١) انظر في هذا المعنى حديث أبي أمامة عند الترمذي في القيامة (٢٤٣٧)، ابن ماجة في الزهد (٤٢٨٦)، وأحمد في مسنده (٥ / ٢٥٠، ٢٦٨).

فالكف ثابت، واليد ثابتة، والأصابع والأنامل كل هذا نثبته لله - تبارك وتعالىٰ - مع أننا نعتقد: تنزيه (يد الله) عن أن تكون مماثلة، أو مشابهة لأيدينا في شيء من الأشياء. فهل يمكن أن أشبه يدي أو يدك أو يد جبريل بيد الله - عز وجل - التي يكون الكون كله فيها كخردلة، الكون كله من عرشه إلىٰ فرشه في كف الرحمن كخردلة في كف أحدنا!! - كما جاء عن ابن عباس [(١)] -.

فكيف يتوهم متوهم عند إطلاق: (اليد) علىٰ الله إنها مثل يد المخلوق. ولهذا يضطرون إلىٰ التأويل السخيف فيقولون: اليد القدرة. مع أن هذا التأويل لا يصلح، ولا يصح، ولا يستقيم، ولا ينفع، ولا يعقل هذا التأويل في بعض الآيات. فإذا قال الله - جل وعلا - في سورة الفتح: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]. يأتي المعطل يقول: يد الله. يعني: قدرة الله فوق أيديهم.

ما معنىٰ قدرة الله فوق أيديهم؟. إن قدرة الله تمسك الكون كله، إنما المبايعة باليد باليمين. فالله - عز وجل - يقول له: إن هؤلاء حينما

(١) انظر: جامع البيان للطبري، عند قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾.

كانوا يبايعونك، إنما كانوا يبايعون الله، لأن يد الله فوق أيديهم، تؤكد وتوثق البيعة. فتأويل: (يد الله) بـ(قدرة الله) أفسد المعنىٰ.

فماذا يقول المعطل في قول الله تعالىٰ لإبليس: ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ [ص: ٧٥]، كيف يمكن تأويل اليد هنا بالقدرة؟. أولاً: اليد مثناه، ولا يجوز تأويل اليد المثناه بالقدرة، لأن ما معنىٰ بقدرتي؟. ثانيًا: هذا التأويل يفسد المعنىٰ لأن الله – تبارك وتعالىٰ – إنما أراد أن يبين لإبليس الخصوصية التي اختص بها آدم وهي أن الله خلقه بيده. فلو أراد بقدرته، لما سكت إبليس، ولقال لله: وأنا – أيضًا – خلقتني بقدرتك. فما فضل آدم علي. ولماذا لا يتساوىٰ معي؟.

إذا كان لفظ (اليد) معناه (القدرة) أفسد المعنىٰ، ويصبح المعنىٰ غير ما أراده الله من تخصيص آدم بهذه الخصوصية، وإكرامه بهذه الخصوصية. والاحتجاج علىٰ إبليس بما امتاز به آدم.

ومع ذلك فإن إبليس لم يعترض علىٰ الله. عندما قال له: ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ [ص: ٧٥]، لأن إبليس يعمل أن تلك الخصوصية، التي اختص الله بها آدم، ولم تكن له، ولا لغيره من المخلوقين حتىٰ الملائكة، إنما خلقوا بكلمة (كن)، وكل الأشياء خلقت بكلمة (كن) إلا آدم فإن الله خلقه بيده، بالكيفية التي يعلمها – سبحانه وتعالىٰ – هو الذي جمع تراب طينة آدم، وهو الذي سوىٰ

الطينة، وهو الذي تركها حتىٰ صلصلت وصارت كالفخار، وهو الذي أمر جبريل – عليه السلام – أن ينفخ فيها. فقام آدم.

يعني عملية تولاها الله بنفسه، وباشرها بنفسه لم يتدخل فيها أحد، ولم يخلقه بتوسط كلمة (كن)، كما خلق سائر المخلوقات. وفي الحديث: (خلق الله ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وخط التوراة لموسىٰ بيده، وغرس جنة عدن بيده)[١]. هذه الثلاثة تولاها الله بيده من أجل أهميتها عنده سبحانه وتعالىٰ.

أقول: ليس لهم حجة علينا، ولله الحجة البالغة، ونحن نثبت لله كل صفة أثبتها لنفسه من يد، وعين، ووجه، وقدم، ولا نعتقد في شيء من ذلك مماثلة ولا مشابهة بين ما هو ثابت لله، وبين ما هو ثابت للمخلوق.

وهذه القاعدة يجب أن نحرص عليها ونحفظها جيداً، لأنها التي يشاغب بها من ليس لهم حجة علينا إلا إذا قلنا: إن الله موصوف باليد، فقد شبهناه بيد المخلوق. إذا قلنا: إنه يغضب، فقد شبهناه بغضب المخلوق. إذا قلنا: إنه يرضىٰ، شبهناه برضىٰ المخلوق.

---

(١) البيهقي في الأسماء والصفات (٦٩٢) مرسلا، وإسناده ضعيف وانظر: إتحاف السادة المتقين (٩/ ٥٠٢)، (١٠/ ٥٥٠).

وهذا كله كلام غير صحيح. بل لله الرضا الذي يليق به، والغضب الذي يليق به، والمحبة التي تليق به، والرحمة التي تليق به، والحكمة التي تليق به، واليد، والوجه، والقدم، والرجل، وغير ذلك مما يليق به، وينزه ربنا – سبحانه وتعالىٰ – في كل أسمائه وصفاته عن مماثلة أحد من خلقه، صفات الله – تبارك وتعالىٰ – كلها صفات كمال.

ربما يقول قائل: أنا عرفت الأسماء الحسنىٰ الموجودة في القرآن وفي السنة، وأثبتت لله ما تضمنته من كمالات، لكن ربما خفي علي بعضها، لأني وكثيرين مثلي لا نحفظ الأسماء الحسنىٰ. فكيف نثبت لله كل الكمالات التي تضمنتها الأسماء الحسنىٰ، إذا كنا لا نحفظها؟.

أقول لك: يكفيك أن تؤمن إجمالاً بهذه القضية، بأن كل كمال ممكن يتصف الله به فهو ثابت له، فلله كل الأكملية في أسمائه وصفاته، بحيث لا يكون هناك كمال ممكن، والله غير متصف به أبداً.

فعلينا أن نعرف كل اسم من الأسماء الحسنىٰ ونفهم معناه، ونثبته لله – تبارك وتعالىٰ – تفصيلاً. وهذا يقتضينا أن نفهم معنىٰ كل اسم من الأسماء الحسنىٰ ثم نثبتها لله تبارك وتعالىٰ.

الكمال الثابت لله تعالىٰ لا يكون – أبداً – إلا بصفات وجودية. يعني: موجودة فعلاً، ليست صفات سلبية أو عدمية، وهذا ما يميز

أهل السنة عن غيرهم من المعطلة، فإنهم حين يريدون أن ينزهوا الله - عز جل - يذكرون سلوبًا وأعدامًا ينسبونها إلىٰ الله، ويظنون أنهم بذلك ينزهون الله، وأنهم يمدحون الله. مع إن المدح لا يكون بصفة سلبية أبدًا.

أي: أنا أمدح ملك من الملوك فأقول له: أنت لست نجارًا، أنت لست كنّاسا، أنت لست كذا وكذا .. فهل هذا مدح؟. عندما أنفي عنه هذه الأشياء التي لا تليق به، هل أعتبر مدحته؟. لا.. هذا لا ينفع، فالمدح لا يكون إلا بمعنىٰ وجودي، أي بصفة وجودية فعلاً.

يقول قائل: لماذا نفىٰ ربنا عن نفسه السفه وهكذا. فكيف لا يعتبر هذا مدحًا؟.

أقول لك: المدح ليس في نفي الذم، بل فيما تضمنه نفي الذم من إثبات الكمال، وأي مدح لله في نفي الظلم عنه، المدح ليس في نفي الظلم إنما بإثبات ضده، وهو العدل. وعندما يقول الله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت: ٤٦]، فنفي الظلم نفسه ليس هو بمدح. بل ما استلزمه نفي الظلم من إثبات كمال العدل، ونفي العجز ليس هو المدح، بل المدح فيما تضمنه واستلزمه نفي العجز وهو إثبات كمال القدرة، وهكذا ...

ولأن المدح في نظرنا نحن - أنصار السنة وأهل السنة - لا يكون إلا أموراً موجودة، ولهذا يأتي الإثبات في القرآن وفي السنة على التفصيل لأنه مدح. ويأتي السلب إجمالاً لأنه ليس به مدح، فإذا أحصيت الصفات السلبية الموجودة في القرآن الكريم أو في السنة المطهرة، لا يساوي واحداً على ألف من صفات الإثبات، لماذا؟. لأن صفات الإثبات صفات مدح. أما صفات السلوب فليست مدحاً إنما فيها تنزيه، والمدح فيها إنما يكون بإثبات كمال ضدها لله. فنفي العجز مستلزم لإثبات كمال ضده وهو القدرة. ونفي الجور مستلزم لإثبات كمال ضده وهو العدل.

ولقد وردت صفات التنزيه أو صفات النفي في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤]، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت: ٤٦]، قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ٤]. يعني آيات معدودة محدودة.

إنما تجد صفات الإثبات في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٨]، يعني كل آية مذيّلة باسمين، وليس باسم واحد من الأسماء الله الحسنى.

وفي الربع الأخير من سورة الحج نجد قوله تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج: ٦٠ – ٦٥].

كل آية من هذه الآيات – الكريمة – مزيّلة باسمين من أسماء الله الحسنىٰ، وليس اسمًا واحدًا. لأن الكمال في إثبات المعاني الوجودية لله تعالىٰ، أما معطلة الصفات الوجودية الكمالية، إنما يثبتون لله سلوبًا وعدمًا ليس فيها مدح ولا ثناء. يقولون: الله ليس بجسم، ولا جوهر، ولا عرض، ولا شبح، ولا صورة، ولا بذي مقدار، ولا ثقل، ولا خفة، ولا لحم، ولا دم، ولا يوصف بحركة، ولا بسكون، ولا بصعود، ولا بهبوط، ولا باتصال، ولا بانفصال .. إلىٰ آخره. كلام كله سلوب، سلوب، سلوب.

أما نحن فديدننا ديدن القرآن والسنة أن نجمل في السلب، وأن نفصل في الإثبات. أي: أن نجمل في صفات السلوب، فلا ننفي عن الله إلا ما نفاه هو عن نفسه أو ما نفاه عنه رسوله ﷺ؛ لأننا لسنا بأعلم بالله من نفسه، ولا أعلم به من خير خلقه. فالله أعلم بنفسه من خلقه، ورسوله أعلم به من كل أحد. فلا نثبت إلا ما أثبته الله ورسوله، ولا ننفي إلا ما نفاه الله ورسوله.

أجمع آيات الصفات عندنا أية الكرسي، نقرأها ونرى ما تضمنته من أسماء حسنى ومن صفات علا، في النفي، وفي الإثبات: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥)﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(الله): هذا اسم الجلالة، وضع لتجرى عليه هذه الأخبار - كلها - الواردة في الآية، ثم أخبر عن نفسه أولا: بأعظم خبر، وهو قضية التوحيد ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ وبعد ذلك ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وهما صفتان وجوديتان ﴿الْحَيُّ﴾ من الحياة و ﴿الْقَيُّومُ﴾ من القيومية.

ومعنى الحي في حقه - سبحانه وتعالى - أنه الحي بالحياة الأبدية الكاملة التي تقتضي كمال الصفات التي تكون الحياة شرطًا فيها، فإذا



كان هو الحي بأكمل حياة، كان سمعه أكمل سمع، وبصره أكمل بصر، وقدرته أعظم قدرة، وإرادته أعظم إرادة؛ لأن الحياة هي شرط الاتصال بكل هذه الصفات. فإذا كملت الحياة، كملت جميع الصفات التي تعتبر الحياة شرطًا فيها.

﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ والقيومية معناها: كمال التدبير، وأنه لا يغفل عن مملكته لحظة، ولهذا قال: لكي يثبت قيوميته ﴿ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ ﴾ لأن النوم ينافي تماماً القيومية، فلو كان ينام، لا يصبح قيّوما، لأن القيوم هو الدائم القيومية. هو المبالغ في القيام بشئون خلقه، وتدبير ملكه، فلو كان ينام لا يكن قيّوما.

ثم أثبت تمام ملكه، بقوله: ﴿ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾، ثم من تمام الملك ألا يجرؤ أحد أن يشفع عنده إلا بإذنه. فلهذا قال: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾، ثم أثبت تمام علمه وإحاطة علمه بكل المعلومات بحيث لا يشذ عنه شيء منها فقال: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: يعلم ما سوف يأتي في المستقبل. ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾، أي: يعلم ما مضىٰ وانتهىٰ.

ثم قال: إن علوم البشر محدودة، وقليلة لأنهم ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ﴾. ثم أثبت عظمته بذات عظمة هذا الملك فقال: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ﴾ كرسيه فقط، الذي

يضع عليه رجله، كما ورد في الحديث: (الكرسي موضع القدمين)[١]. ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾، يعني كلهن في جوف الكرسي، كحلقة ملقاة في فلاه. وبعد ذلك قال: ﴿وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾، أي: لا يغلبه، ولا يثقله، ولا يكرثه، ولا يشق عليه حفظ السماوات والأرض، مع ذلك الاتساع العظيم.

ثم أثبت لنفسه اثنين من أعظم الأسماء الحسنىٰ وهما ﴿الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، العلي من العلو، والمراد هنا: مطلق العلو، والعلو المطلق الذي يتناول العلو الذاتي له - سبحانه - فوق عرشه، ويتناول علو القدر والشرف، ويتناول علو القهر والغلبة. فكل معاني العلو ثابتة لله. ومن أراد أن يقيد العلو، فيجعله علو شرف - فقط - فقد أساء، لأن الله ما حدد علوه بنوع واحد، وإنما أطلقه لنفهم منه أنه - سبحانه - عال بكل معاني العلو ثم قال: ﴿الْعَظِيمُ﴾.

وانظر التناسب بين العلي والعظيم. فلا يكون عظيمًا إلا إذا كان عليًا. لأنه: عالي علىٰ جميع خلقه يصح أن يكون عظيمًا، فلا تثبت العظمة له إلا إذا كان عاليًا. ولهذا جاء بالعظيم بعد العلي. هنا أثبت لنفسه العلو، وأثبت لنفسه العظمة.

---

(١) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٧٥٨) موقوفًا على ابن عباس، (٨٥٩) موقوفًا علي أبي موسى.

وتجد في أوائل سورة طه بعض الأسماء والصفات الثابتة لله تبارك وتعالىٰ: ﴿طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ١ - ٨]. فأثبت لنفسه الانفراد بالخلق. ولأنه خلق السماوات والأرض: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾، أي: ما استوىٰ علىٰ العرش إلا بعد الخلق. كما صرحت بذلك الآيات. كما قال في موضع آخر: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فالاستواء علىٰ العرش: إنما كان بعد خلق السماوات والأرض. ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾، إثبات تمام الملك، ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ إثبات تمام العلم. لأن الذي يعرف السر وأخفىٰ من السر - لا شك - أنه يعلم الجهر، لأن العلم بالجهر أهون من العلم بالسر.

وتجد في سورة الرعد آيات - كريمة - فيها صفات كثيرة: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد: ٨ - ١٣].

هذه مجموعة عظيمة من الأسماء الحسنىٰ، ومن الصفات العلا التي أثبتها الله تبارك وتعالىٰ لنفسه، وكذلك في سورة الحديد: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾

[الحديد: ١ - ٦].

وتأمل التناسب بين العزيز والحكيم لأن لفظ: العزيز - فقط - لا يكفي، ولفظ الحكيم - فقط - لا يكفي. فرجل عزيز ليس بحكيم لا يصبح كاملاً أبداً، فلا يتم الكمال إلا باقتران الحكمة بالعزة؛ لأن كلمة عزيز توهم: الغلبة، والقوة، والاستقامة، وربما توهم الإنسان عندما يسمع لفظ العزيز أنه: ملك غشوم، ظالم، جبار، ولكن عندما تجد معها مباشرة: الحكيم، توقن أن العزة جاءت في موضعها، عزيز لكنه حكيم، يضع العزة في موضعها، فلا يعاقب إلا بالذنب ولا ينتقم إلا ممن أساء. ﴿**لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾.

انظر وتأمل الآية العظيمة: ﴿**هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾، فبدل كلمة: (قديم) للمتكلمين جاء بكلمة: (الأول). انظر: علىٰ ماذا يدل لفظ: (الأول)؟. لا يوهم نقصاً بأي حال من الأحوال، بل يفيد: أنه الأول، وأن كل ما بعده آيل وراجع إليه، لأن كل الأعداد ترجع وتؤول إلىٰ الأول، فتقول: أول، ثاني، ثالث، رابع، خامس، وهكذا ...

فالأول أثبت لنا معنيين: أولاً: أنه قبل كل شيء، ثانيًا: أن كل الأشياء منه، وصائرة إليه، وتابعة له، لأنه هو الأول الذي انبعثت منه. والآخر أي: الذي لا شيء بعده. فالكل يفنىٰ، وهو الآخر المنفرد بالبقاء.

ثم الظاهر: العالي الذي لا شيء فوقه. ثم الباطن الذي ينفذ علمه إلىٰ كل باطن من خلقه. فهو قريب من كل مخلوق. أقرب إلىٰ كل مخلوق من نفسه. هذا هو معنىٰ البطون. نفوذ العلم، نفوذ القدرة، إلىٰ آخر ذرة في الخلق. فهو هناك عند مركز الأرض الذي هو الحضيض السفلي، الذي هو أبعد نقطة من الكون عن عرش الله، الله بطن بعلمه هناك، باطن بقدرته هناك، عند آخر ذرة في هذا الوجود، عند أبعد ذرة في هذا الوجود عن عرش الله.

ولكي يصور لنا الإحاطة الزمانية والمكانية لله، قال: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾. يعني: محيط بالكل زمانًا، وقال: ﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾، الظاهر: الذي هو في أعلىٰ المكان، والباطن: في أسفل مكان بعلمه، وقدرته هناك. يعني: محيط بالكل مكانًا.

وقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ﴾، (يعلم) يعني: مع كونه فوق خلقه مستو علىٰ عرشه، وبينه وبين هذه الأرض تلك المسافات البعيدة ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. وبعد ذلك يرجع - مرة ثانية - ليؤكد تمام الملك، فيقول: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَىٰ اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝٥ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٦﴾.

آيات تملأ القلوب من جلال الله ومن خشية الله، ويجب أن نقرأ هذه الآيات، ونضع معانيها علىٰ قلوبنا، لكي تستشعرها القلوب. فإنه لا حياة للقلوب إلا بهذه المعاني.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَىٰ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، ما المقصود بالعلماء في هذه الآية الكريمة؟. المقصود بالعلماء - في هذه الآية الكريمة - العلماء بمعاني أسماء الله وصفاته، لأن معرفة الله المعرفة الحقة لا تتم إلا بمعرفة الأسماء الحسنىٰ، ومعرفة الصفات العُلىٰ له سبحانه.

وهنا يتفاوت الناس في العلم بالله، ثم يتفاوتون في الخشية من الله، لأن الخشية من الله، إنما تكون علىٰ قدر العلم به سبحانه. لهذا قال عليه الصلاة والسلام: (إني أتقاكم لله وأعلمكم بالله)[١]. فلأنه أعلمنا بالله فهو أتقانا لله. فلا يمكن أن تتم التقوىٰ لأحد إلا بالعلم.

وأواخر سورة الحشر تضمنت - أيضًا - جملة من الأسماء الحسنىٰ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ

---

(١) رواه البخاري بنحوه في الأدب (٦١٠١)، ومسلم في الفضائل (٢٣٥٦).

الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

وفي سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]، فيه جماع هذا كله. جمع الله كل صفات الإثبات، وكل صفات التنزيه، وكل عقيدة التوحيد في هذه السورة التي ورد في الحديث الصحيح: (أنها تعدل ثلث القرآن، وأن من قرأها في ليلة فكأنما قرأ ثلث القرآن)[1].

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: وتضع تحت «أحد»، انفراده بذاته، وانفراده بصفاته، وانفراده بأفعاله، فليس لأحد ذات مثل ذاته، ولا صفات تشبه صفاته، ولا أفعال تشبه أفعاله، بل هو المتوحد المنفرد بكل ما له من الأسماء والصفات، وبعد ذلك ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾: تضع تحت «الصمد» كل صفات الكمال الوجودية الثابتة لله تبارك وتعالىٰ. لأن الصمد: معناه الغني، وكمال الغنىٰ لا يثبت لأحد إلا

(١) رواه البخاري في التوحيد (٧٣٧٤) من حديث أبي سعيد. وانظر فضائل القرآن (٥٠١٥).

وهناك روايات أخرى عن غير واحد من الصحابة.

إذا ثبتت له كل صفات الكمال. وبعد ذلك نفىٰ عن نفسه الولدية والوالدية، والكفء أو الشبيه. فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾.

وبهذا القدر في تلك الليلة الكفاية، حتىٰ نتمكن من الإجابة علىٰ أسئلتكم واستفساراتكم، وشكر الله لكم، وبارك فيكم، وجمعني وإياكم في مستقر رحمته، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

* * *

الأسئلة

السؤال: هل يمكن إطلاق الصفات الآتية على الله عز وجل: موجود، منصف، معطي، بالرغم من عدم وجودها في القرآن؟!

الجواب: لا. المعنى صحيح، ولكن إطلاقها كأسماء لا يجوز، لأن أسماء الله توقيفية، فلا يجوز أن نسمي الله إلا بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله ﷺ، الأسماء التسعة والتسعين التي ورد بها الحديث الصحيح، (إن لله تسعة وتسعين اسمًا)[1].

موجود: الله موجود. صحيح نخبر عنه هذا خبر. يعني إذا قيل الله موجود، فنحن لا نسميه بموجود إنما نخبر عنه بأنه موجود، وفرق بين الإخبار والتبليغ، فأنا أقول: (أنت موجود) ليس اسمك موجود. أنت اسمك محمد أو إبراهيم لكن كون (أنت موجود) يعني: (لست معدومًا)، يعني: (لست ميتًا)، فلا يقصد بموجود أن يكون اسمًا من الأسماء. إنما يقصد الإخبار عنه، فيجوز الإخبار عن الله بأنه موجود.

---

(١) رواه البخاري في الشروط (٢٧٣٦)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٧٧).



أما لفظ منصف: فاسم: (العدل) أحسن من (منصف)، والله سمىٰ نفسه العدل. ونحن نسميه العدل ولا نسميه المنصف، وإن كان المنصف بمعنىٰ العدل، لكن نطلق الاسم الذي و رد، ولا نعدل عنه إلىٰ اسم غيره.

وأما المعطي: فالله هو المعطي. لكن لا يجوز أن يفرد هذا الاسم عن قرينه. لأن هناك أسماء مزدوجة لا يجوز إفراد اسم منها عن قرينه، فلا يقال: المعطي فقط. بل يقال: المعطي المانع، الضار النافع، المعز المذل، الخافض الرافع، القابض الباسط. فهذه أسماء مزدوجة، فالكمال في أن تذكر معًا ولا تفرد. فقولك: المعطي صحيح، لكن لكي يكون اسمًا كاملاً من الأسماء الحسنىٰ يجب أن يقرن به الاسم الآخر، فيقال المعطي المانع.

السؤال: فضيلة الدكتور كلمة: موجود. أليس كل موجود لا بد له من واجد؟

الجـــواب: لا يقصد هذا. لا يقصد الموجود له واجد، يقصد موجود أي هو متصف بصفة الوجود. تلك موجد وموجد. والله أوجدنا وهو الموجِد ونحن الموجودون فالموجَد يحتاج لموجِد. لكن ليس كل موجود يحتاج لموجد. والله موجود.

السؤال : يدعي الناس أن لكل اسم من أسماء الله ملائكة مختصين به ، فمثلاً المحيي أو المميت له ملائكة ؟

الجواب : هذا كلام ليس له أصل، وليس في الشرع دليل علىٰ وجود ملائكة مختصين بأسماء الله، وإنما الأسماء الحسنىٰ كل اسم منها له معنىٰ يؤثر في قلب من تدبره تأثيراً خاصًا، فليس تأثير اسمه تعالىٰ (الودود) كتأثير اسمه تعالىٰ (الجبار). بل (الودود) يحدث في قلبك الرغبة والطمع والرجاء، لكن (الجبار) يحدث في قلبك الخوف والوجل. فأين هذا من هذا؟ فلكل اسم معنىٰ، وله تأثيره الخاص في القلب. ونتأثر بكل معاني الأسماء الحسنىٰ. ففيها أسماء تجلب للقلوب المحبة والرجاء، وفيها أسماء تزرع في القلب الخوف من الله – تبارك وتعالىٰ – والخشية والهيبة والتوقير له سبحانه.

السؤال : ما هو الفرق بين الأوثان والأصنام ، وهل معناهما الأحجار كما جاء في كثير من التفاسير ؟ وهل المعنىٰ مقصور علىٰ الأحجار الصماء؟

الجواب : في الحقيقة كل ما نصب ليعبد من دون الله فهو وثن، فالقبور التي تعبد تسمىٰ أوثانًا، ولذلك فالرسول ﷺ قال : (اللهم لا

تجعل قبري وثنًا يعبد من بعدي)[١] .

فالشجرة إذا عبدت - كما كانت العزىٰ - تعبدها قريش كانت وثنًا . اللات وهي صخرة بيضاء لثقيف كانت وثنًا . ولكن الأصنام تزيد علىٰ الأوثان أنها تتخذ صورة إنسان أو حيوان أو غيره، وقد تصنع من برونز أو نحاس .

والذين يفسرون الأصنام الواردة في القرآن أو الأوثان بالحجارة الصماء لا يستطيعون أن يدعوا أن الناس كانوا يعبدون هذه الحجارة لذاتها، وإنما كانوا يتخذون منها رموزًا فقط لمعبود . يعني الذي يعبد عيسىٰ - عليه السلام - يتخذ له وثنًا أو صورة يعبدها، فهو في الحقيقة يعبد صاحب الصورة، ولا يعبد الصورة .

كذلك عبادة الملائكة لما قالوا: إن الملائكة بنات الله، وهي النجوم التي نراها في السماء، ورأوا نجوم تغيب عنهم اتخذوا لها هياكل أرضية، وعبدوا هذه الهياكل، وإنما أرادوا بذلك عبادة النجوم فكل من يعبد هيكلاً أرضيًا أو صنمًا أرضيًا، فإنما يعبد من اتخذ له الصنم، أو من صور الصنم علىٰ صورته، ولذلك كانت عبادة هؤلاء للأصنام

---

(١) مالك في الموطأ في قصر الصلاة (٨٥) عن عطاء بن يسار مرسلا . ورواه أحمد بنحوه من حديث أبي هريرة ٢ / ٢٤٦ (٧٣٥٢) .

عبادة لهؤلاء الذين صورت واتخذت لهم هذه الأصنام. ولهذا ربنا لن يسأل الأصنام ولا الأوثان، وإنما سيسأل من عُبدوا كعيسىٰ، والعزير، والملائكة. لذلك يقول ربنا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤] فلأنهم إنما دعوا هؤلاء الذين هم عباد أمثالنا وليسوا أصنامًا.

أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، وشكر الله لكم، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

* * *

المصادر والمراجع

(١) **اتحاف السادة المتقين**، للزبيدي، الكتاب العربي.

(٢) **الأسماء والصفات**، للبيهقي – مكتبة السوادي.

(٣) **جامع البيان**، للطبري:

(٤) **سنن ابن ماجة** – ط عبد الباقي.

(٥) **سنن أبي داود** – ط الدعاس.

(٦) **سنن الترمذي** – ط أحمد شاكر.

(٧) **صحيح البخاري مع الفتح** – الطبعة السلفية.

(٨) **صحيح مسلم** – ط عبد الباقي.

(٩) **مجلة التوحيد** – السنة الخامسة والعشرون – العدد الأول.

(١٠) **مختصر التذكرة**، للقرطبي – تهذيب فتحي الجندي – دار العاصمة.

(١١) **مسند أحمد** – مؤسسة قرطبة.

(١٢) **موطأ مالك** – ط عبد الباقي.

* * *

المحتوىٰ

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

الصف والإخراج
أبو هشام عبد الملك رمضان عرابي